

مجلد: 15 عدد 01 جوان 2024
العنوان: من الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني في
المدرسة الجزائرية
- قراءة سوسيولوجية في الأسباب والانعكاسات -
ص.ص 175-194.

من الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية - قراءة سوسيولوجية في الأسباب والانعكاسات -

أسماء دندان

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

a.dendane@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2024 /01/30 ؛ تاريخ القبول: 2024 /03 /17

From paper book to E-book in the Algerian school -A sociological study of the causes and effects –

Abstract:

Algeria has recently witnessed huge and rapid developments in the scope of technology. Hence, it was requisite to keep in line with these developments in different field. Especially in the domain of education which is deemed to be the means for the Algerian society to build itself, promote its existence, and to improve the awareness of the Algerian members in an attempt to achieve the intellectual, financial, and social development in various areas of life. To cope with these technological developments, Algeria, as other countries, has reformed the educational policy again including diverse elements in accordance with these technological developments to build a modern, high-performance educational system to be the main tool to promote the Algerian society. The textbook is one of the education tools that were concerned with the educational reform process in the light of technological developments as to be a basic element in the teaching and learning process. It is considered to be the vessel bearing scientific knowledge and the primary reference from which learners solicit knowledge and ideas more than any other educational sources. The Ministry of National Education has lately started transforming the textbook in primary schools from the classical form that relies on the printed papers to the modern electronic form. This latter is shaped through integrating textual content with digital

applications in an electronic form that enables it with more capabilities and options in which the digital environment surpasses the paper-based environment, and that is for the purpose of facilitating the teaching and learning process for both teacher and student by enriching their perception and expanding their intellectual and cultural perspectives in all domains. And yet with this transformation, the paper book is no longer the only bearer of science and knowledge, but rather sharing this characteristic with the e-book.

Keywords: paper book, school, people, teaching and learning process.

الملخص:

شهدت الجزائر مؤخرا تطورات كبيرة ومتسارعة في المجال التكنولوجي؛ ولهذا كان لزاما عليها مسايرة هذه التطورات في شتى المجالات؛ ولاسيما في المجال التعليمي الذي يعتبر سبيل المجتمع الجزائري في بناء ذاته وترقية وجوده وتنمية وعي أفرادها سعيًا إلى تحقيق التطور الفكري والمادي والاجتماعي في شتى مجالات الحياة. ومن أجل مواكبة هذه التطورات التكنولوجية قامت الجزائر كغيرها من الدول بإعادة إصلاح سياستها التربوية بمختلف مكوناتها وفقا لهذه التطورات التكنولوجية من أجل بناء منظومة تربوية عصرية عالية الأداء ولتكون الأداة الرئيسية لترقية المجتمع الجزائري. ويعد الكتاب المدرسي من بين الوسائل التعليمية الذي مسته عملية الإصلاح التربوي في ظل هذه التطورات التكنولوجية؛ باعتباره عنصرا مهما في العملية التعليمية التعلمية، فهو يعتبر الوعاء الحامل للمعرفة العلمية والمرجع الأساسي الذي يستقى منه المتعلمين المعارف والأفكار أكثر من غيره من المصادر التعليمية الأخرى. فلقد باشرت وزارة التربية الوطنية مؤخرا بتحويل الكتاب المدرسي في المدارس الابتدائية من صورته الكلاسيكية التي تعتمد على الورق المطبوع إلى صورته المعاصرة الإلكترونية التي تتشكل عن طريق إدماج محتوى نصي مع تطبيقات

البيئة الرقمية في شكل الكتروني يكسبه المزيد من الإمكانيات والخيارات التي تتفوق بها البيئة الالكترونية على البيئة الورقية؛ بغية تسهيل عملية التعليم والتعلم لكل من المعلم والمتعلم؛ وذلك بإثراء سعة إدراكهم وتوسيع أفاقهم الفكرية والثقافية في كل المجالات. ومع هذا التحول لم يعد الكتاب الورقي الحامل الوحيد للعلم والمعرفة وإنما أصبح يتقاسم هذه الميزة مع الكتاب الإلكتروني.

الكلمات المفتاحية: الكتاب الورقي؛ الكتاب الإلكتروني؛ المدرسة، التلميذ؛ العملية التعليمية.

مقدمة:

شهدت الجزائر في الآونة الأخيرة عدة تحولات مست مختلف المجالات على الصعيد الوطني والعالمي، والتي فرضت نفسها على النظام التربوي؛ باعتباره من أهم الأنظمة التربوية الفاعلة التي تعتمد عليها الدولة الجزائرية في بناء الأجيال وتحقيق التنمية الشاملة ومواجهة تحديات المستقبل. ولمواجهة هذه التحولات حرصت الجزائر على إعادة إصلاح منظومتها التربوية بمختلف مركباتها وفقا للنظام العالمي الجديد ومتطلبات العولمة من أجل بناء منظومة تربوية عصرية عالية الأداء ولتكون بمثابة الأداة الرئيسية لترقية المجتمع الجزائري.

ويعد الكتاب المدرسي من بين الوسائل التعليمية الذي سعت الجزائر إلى إعادة إصلاحه وفقا لهذه التحولات الوطنية والعالمية؛ باعتباره من الوسائل التعليمية الأساسية الذي تركز عليه المدرسة في القيام بوظيفتها، والأكثر فاعلية في نجاح العملية التعليمية بصفة خاصة وتحقيق أهداف التعليم وتحسين جودته وزيادة فاعليته بصفة عامة. فهو المرشد وأداة العمل بالنسبة للمعلم والمرجع والمصدر الأساسي الموثوق به بالنسبة للتعلم. فلقد عرف الكتاب المدرسي نصيبا وفيرا من الإصلاحات التربوية التي جسدها اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية سنة 2000 وشرعت في تطبيقها ابتداء من الموسم الدراسي

2003/2004؛ حيث روعي في إصلاحه جملة من الاعتبارات التربوية والعلمية والجمالية... حتى يكون في مستوى المناهج الجديدة ويصبح أداة فعالة بين أيدي المتعلمين والمعلمين.

وبالرغم من هذه الإصلاحات التي عرفها الكتاب المدرسي مؤخرا إلا أنه مازال يعاني الكثير من النقائص والثغرات سواء فيما يخص شكله أو مضمونه أو حجمه أو عدده...؛ هذه النقائص جعلته من جهة يقف عاجزا أمام مسابرة ومواكبة متطلبات ومتغيرات العصر وتوفير حاجيات كل من المعلم والمتعلم، ومن جهة أخرى ساهمت في ظهور أزمة الكتب المدرسية الكثيرة التي أصبحت ترهق الأولياء والتلاميذ بدون استثناء والتي ساهمت بدورها في ثقل وزن المحفظة المدرسية لدى التلاميذ في مختلف مستويات التعليم الابتدائي؛ الأمر الذي أصبح يشغل كل فئات المجتمع ويشتكي منه التلاميذ وأولياءهم وجل أفراد الأسرة التربوية.

وفي أعقاب ذلك قامت وزارة التربية الوطنية بتشكيل لجنة وطنية خاصة تهتم بتقديم الحلول الكفيلة للقضاء على هذا المشكل التربوي المتمثل في ثقل وزن المحفظة المدرسية؛ حيث قامت هذه اللجنة بتقديم اقتراحات كثيرة للتخفيف من حدة هذا المشكل التربوي منها جعل الكتب فصلية أو وضعها في خزانة القسم أو الاستعانة بالنسخة الثانية أو بالكتاب الإلكتروني...

والكتاب الإلكتروني يعتبر من أبرز الحلول التي اعتمدتها الوزارة الوصية وشرعت في تطبيقها ابتداء من الموسم الدراسي 2022 / 2023 بالمدارس الابتدائية الريفية على وجه الخصوص في انتظار تعميم هذه العملية على مختلف المدارس الابتدائية سواء الريفية أو الحضرية لمعالجة هذا المشكل التربوي مبدئيا؛ تنفيذا لمخطط عمل الحكومة المنبثق عن برنامج رئيس الجمهورية؛ حيث قامت الوزارة بوضع كتب رقمية بصفة مجانية خلال هذه السنة الدراسية لجميع عناوين الكتب المدرسية المقررة في مرحلة التعليم الابتدائي، والتي يمكن استغلالها

على الحاسوب المكتبي، الحاسوب المحمول، اللوح الإلكتروني، الهاتف الذكي والتلفاز الذكي...، والتي هي عبارة عن كمبيوتر صغير بحجم كتاب مدرسي يتم برمجة كل الكتب المدرسية فيه وتزويده بلوحة مفاتيح وقارئ فيديو هات وصور ونصوص وتمارين... ليعتمد عليه كل من المعلم والمتعلم في عملية التعليم والتعلم بدلا من الاعتماد على عدد كبير من الكتب المدرسية التي ترهق كاهل كل منهما. ويعود استعمال الكتاب الإلكتروني كبديل للكتاب الورقي في المدرسة الابتدائية إلى مجموعة من الأسباب والعوامل من بينها محاولة التخفيف من ثقل وزن المحفظة المدرسية التي يعاني منها التلميذ منذ سنوات، بالإضافة إلى اتجاه الجيل الجديد نحو استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تعتمد على المرئي أكثر من المكتوب في كل مجالات الحياة؛ وذلك بسبب ارتباطهم أكثر بالصورة وبالجاذبية التي توفرها لهم حتى أصبح يطلق عليهم بالجيل الإلكتروني، يضاف إلى ذلك ظهور ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال وتطبيقاتها المتنوعة وما فرضته من تغيرات جذرية في حياة الفرد ساعدت في تغيير أنماط القراءة لديه؛ إذ انتقلت عملية القراءة من الفضاء الورقي إلى الفضاء الإلكتروني الذي يتميز بالسرعة والديناميكية والذي أوجد ما يعرف بالكتاب الإلكتروني الذي أصبح يشكل حاليا منافسا قويا للكتاب الورقي نظرا للمزايا العديدة التي يتمتع بها مقارنة بمزايا وإيجابيات الكتاب الورقي. وهذا ما جعلنا نطرح التساؤلات الآتية:

- ما هي أسباب إدراج الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية؟
- ما هي الانعكاسات المترتبة على إدراج الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية؟

وفي ظل هذه الإشكالية والتساؤلات التي تدور في فلكها اقترحنا مجموعة من الفرضيات وهي كالآتي:

- إدراج الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية مرتبط بالتخفيف من ثقل وزن المحفظة المدرسية لدى التلاميذ.

- يؤثر الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية على السير الحسن للعملية التعليمية.

وتعود أهمية هذه الدراسة إلى أهمية القراءة في حد ذاتها كونها تشكل ركيزة هامة من ركائز المعرفة ووسيلة من وسائل التعلم وتوسيع خبرات المتعلم بالإضافة إلى فتح أبواب الإبداع أمامه وتحقيق المتعة والتسلية له؛ فضلا عن كونها تساهم في بناء شخصيته وفي عملية تثقيفه واندماجه في العصر الحالي بكل ما يحمله من تغيرات وتحولات مختلفة تمس جميع مجالات المجتمع وبالتالي المساهمة في تحقيق مشروعه الشخصي والمهني.

وبما أن دراستنا هذه تهدف إلى التعرف على واقع الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية من جهة، وعلى أسباب وانعكاسات تبني هذا الكتاب من جهة أخرى؛ فإن التقصي المباشر لها يتطلب إجراء دراسة ميدانية تعتمد على أسس علمية وموضوعية تستهدف جمع المعلومات والحقائق الموضوعية من الواقع الاجتماعي عن مشكلة البحث والإجابة عن التساؤلات التي دارت حول إشكالية الدراسة؛ لذلك توجب علينا تصميم بناء منهجي يأخذ بعين الاعتبار الظاهرة المدروسة وخصائصها وبناءا على ذلك تم الاعتماد على المنهج الكيفي الذي ساعدنا على الوصف والتحليل والمقارنة بين البيانات التي قدمها الباحثين. وتتمثل الأداة التي تم الاعتماد عليها في جمع المعطيات الميدانية في تقنية المقابلة؛ بحيث اعتمدنا على نموذج واحد من المقابلة وهي المقابلة الموجهة؛ حيث بلغ عدد المقابلات بـ: (08) مقابلات. ولقد استخدمنا هذا

النوع من المقابلة وفق خطة معينة أو دليل عمل يقودنا إلى تحقيق الغرض المطلوب، وكانت جل الأسئلة المطروحة تدور حول تصورات أساتذة التعليم الابتدائي حول الإجراء الجديد الذي تبنته وزارة التربية الوطنية وهو الكتاب الإلكتروني؛ باعتبارهم عنصرا أساسيا من عناصر المنظومة التربوية وعضوا فاعلا في التأثير على المتمدرسين. وقد اعتمدنا على العينة القصدية في اختيار أفرادها من مجتمع البحث المتمثل في المدرسة الابتدائية مسعودي بن عومر بقرية الحاجرة

بدائرة تيزي بولاية معسكر؛ وقد شملت عينة البحث على ثمانية
مبحوثين (08) يختلفون في معطياتهم السوسيو مهنية؛ فمن حيث الجنس
نجد 04 ذكور و 04 إناث، أما من حيث السن فتتراوح أعمارهم ما بين
29 سنة إلى 54 سنة، وبالنسبة للخبرة المهنية فهي تتراوح ما بين 01
سنة إلى 35 سنة، وفيما يخص مكان الإقامة نجد 07 من المدينة و 01
من الريف.

تحديد المفاهيم:

تحتاج كل دراسة إلى ضبط المفاهيم الأساسية للدراسة التي تعبر بصورة
دقيقة عن فحوى البحث؛ لذا لا ينبغي تجاوز تحديدها مهما كان تخصص
البحث ومهما كانت الظروف؛ لأنها تعتبر لب المادة المعرفية التي
يستخدمها الباحث في نشاطه والطريق التي يسير عليها للوصول إلى
أهدافه. ومن بين المفاهيم التي اعتمدنا عليها نذكر ما يلي:

الكتاب الإلكتروني: "هو كتاب محمل بلغة العصر، كتاب يفتح كأى
كتاب ولكن ليس مطبوعا على ورق، يتم فتحه بصورة مبسطة؛ فتظهر
على الشاشة محتويات كل جزء من الكتاب على جانب الشاشة، وما على
القارئ إلا أن يطلب ما يريد أن يراه من موضوعات مهما بلغ حجم
الكتاب، فأهم ما يميز الكتاب الإلكتروني هو صغر حجمه وسعته التي
قد تصل إلى سعة الموسوعات، ويمكن البحث عن أي كلمة أو موضوع
أو صفحة في ثوان معدودة، كما أنه بسيط التصميم للغاية ويمكن للقارئ
أن يقلب صفحاته صفحة بصفحة." (الصادق البدوي بلة،
2022: 162). وعليه يمكننا القول بأن الكتاب الإلكتروني هو كل ما
يقرأ أو يتصفح على جهاز الكتروني كالحاسوب وأجهزة أخرى، فهو
من أهم مصادر التعلم الإلكتروني الذي يقوم بإمداد المتعلم بكل
المعلومات والمعارف... لتحقيق التعلم النشط الفعال. جاء بديلا عن

الكتاب الورقي بسبب التطورات المختلفة التي عرفها العالم حديثا خاصة في المجال التكنولوجي.

الكتاب الورقي: "هو ذلك الكتاب الذي يشمل على مجموعة من المعلومات الأساسية التي وضعت لتحقيق أهداف مسطرة ومحددة مسبقا (معرفية، مهارية، وجدانية)، وتقدم هذه المعلومات في شكل علمي منظم لتدريس مادة معينة في مقرر دراسي معين ولفترة زمنية محددة." (زليخة ياحي وآخرون، 2023: 287). وعليه يمكننا القول بأن الكتاب الورقي هو عبارة عن مطبوعة ورقية هدفها إكساب التلميذ مجموعة من المعارف والمهارات والأفكار والقيم ... التي يحددها المنهاج الدراسي مسبقا، بغية بناء وتنمية شخصية التلميذ من جميع النواحي وجعله عضوا فاعلا داخل مجتمعه.

المدرسة: "هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتقابل حاجة من حاجاته الأساسية وهي تطبيع أفرادها تطبيعا اجتماعيا ليجعل منهم أعضاء صالحين، وهي مؤسسة لتربية وتعليم الصغار نيابة عن الكبار الذين شغلهم الحياة، إضافة إلى تعقد وتراكم التراث الثقافي." (صلاح الدين شروخ، 2004: 72). وعليه يمكننا القول بأن المدرسة تعد من بين أهم المؤسسات التنشئية التي أوجدها المجتمع بعد المؤسسة الأولى (الأسرة) من أجل تنشئة الأبناء وإعدادهم لتحمل مسؤولية بناء الوطن و حمايته وتقديمه؛ باعتبارها تمثل أداة المجتمع في تحقيق فلسفة التربية وغرس قيم ومعتقدات المجتمع لدى أبنائها.

التلميذ: "هو ذلك الشخص المتعلم أو المسجل داخل المؤسسة التعليمية يخضع للإشراف المباشر من طرف الأستاذ، وهو المادة الخام التي تشكل المخرج الرئيسي للنظام التعليمي كله." (أحمد اسماعيل، 2000:

29). وعليه يمكننا القول بأن التلميذ هو كل من بلغ السن القانوني للتمدرس والتحق بمؤسسة تعليمية في مرحلة من المراحل التعليمية الثلاثة ابتدائي، متوسط وثانوي من أجل مزاولة دراسته وحصوله على شهادة مدرسية معينة.

العملية التعليمية: "هي تلك الإجراءات والنشاطات التي تحدث داخل الفصل الدراسي، والتي تهدف إلى اكتساب المتعلمين معرفة نظرية أو مهارة عملية أو اتجاهات ايجابية، فهي نظام معرفي يتكون من مدخلات معالجة ومخرجات، فالمدخلات هم المتعلمين، والمعالجة هي العملية التنسيقية لتنظيم المعلومات وفهمها وتفسيرها وإيجاد العلاقة بينها وربطها بالمعلومات السابقة؛ أما المخرجات فتتمثل في تخريج طلبة أكفاء ومتعلمين." (يوسف قطامي وآخرون، 2008: 19). وعليه يمكننا القول بأن العملية التعليمية هي مجموعة من الأنشطة والبرامج والخدمات التي تقدم إلى التلميذ من قبل المدرس داخل الفصل الدراسي، والتي تهدف في مجملها إلى إكساب المتعلم مجموعة من المهارات والكفاءات والمعارف... التي تساهم في بناء شخصيته من جميع الجوانب وبالتالي تجعله مواطنا صالحا يساهم في بناء مجتمعه وتقدمه.

الكتاب الإلكتروني مطلب اجتماعي:

مرت الجزائر في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين بتغيرات عديدة مست مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية...؛ فقامت باتخاذ جملة من الإصلاحات في مختلف هذه المجالات منذ الاستقلال إلى غاية يومنا هذا. ويعتبر قطاع التربية والتعليم من بين القطاعات الهامة التي شهدت عملية الإصلاح الذي كان يسعى في مجمله إلى الارتقاء بهذا القطاع حتى يكون أكثر تناسقا مع حاجات الفرد والمجتمع من جهة، ويستطيع أن يتكيف مع متغيرات ومقتضيات العصر؛ أي يدخل ضمن الظروف الراهنة التي يمر بها العالم ككل من جهة أخرى.

فبرزت جملة من التغيرات على النظام التربوي في ظل الإصلاح التربوي الجديد من بينها الاعتماد على الكتاب المدرسي الرقمي عوض الكتاب المدرسي الورقي باستعمال اللوحة الالكترونية بالمدارس الابتدائية الريفية على وجه الخصوص في انتظار تعميم هذا الإجراء على كافة المدارس الحضرية والريفية مستقبلا. فالكتاب الإلكتروني أصبح يعتبر حاليا ضرورة حداثية ومطلب اجتماعي في نفس الوقت؛

فهو ضرورة حداثية بفعل ثورة المعلومات والاتصالات وظهور التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال وتطبيقاتها المختلفة التي فرضت تغير جذري في حياة الإنسان سواء فيما يخص طرق عيشه أو في أساليب اتصاله وتواصله مع الآخر أو في وسائل تعلمه التي انتقلت من الوسائل التعليمية الورقية إلى الوسائل التعليمية الرقمية التي تعتمد على الكتاب الإلكتروني الذي أصبح يشكل بديلا ومنافسا قويا للكتاب الورقي نظرا للسمات والخصائص والمزايا العديدة التي يتيحها الكتاب الإلكتروني إلى جمهور القراء مقارنة بالكتاب الورقي. وهو مطلب اجتماعي نظرا للظروف المدرسية التي يعيشها التلميذ كثقل وزن المحفظة المدرسية نتيجة كثرة عدد وحجم الكتب المدرسية الذي أصبح يشكل مشكلة تربوية يعاني منها كل فئات المجتمع، وأصبح يشتكي منها التلاميذ والأولياء وحتى أفراد الأسرة التربوية خاصة المدرسين. وفي هذا الصدد نادت الطبقة المثقفة وجمعيات أولياء التلاميذ عامة والأسرة التربوية خاصة بضرورة إيجاد حلول مثلى للقضاء على مشكل ثقل المحفظة المدرسية الذي بات يؤرق كاهل التلميذ على وجه الخصوص؛ ولهذا قامت وزارة التربية الوطنية بتشكيل لجنة وطنية خاصة لاقتراح الحلول الكفيلة بالقضاء على هذا المشكل التربوي من خلال اتخاذ الإجراءات المتعلقة بتخفيف المحفظة المدرسية لدى التلميذ. ويعتبر الحل التكنولوجي الذي يعتمد على الكتب الرقمية كقطيعة راديكالية مع الكتب المطبوعة الحل الأمثل الذي تبنته الوزارة الوصية للقضاء على مشكل ثقل المحفظة المدرسية في الوسط التربوي؛ حيث ترى بأن العملية التعليمية التعلمية تتم بشكل أسرع وأكثر ديناميكية في حالة استخدام الوسائل التكنولوجية التعليمية الحديثة؛ وهذا ما يؤكد لنا بأن التحول من النظام الورقي إلى النظام الإلكتروني ليس خيارا في المجتمع الجزائري؛ بل ضرورة حتمية فرضتها كل من الحداثة والحاجة الاجتماعية.

دواعي الانتقال من الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني في المدرسة الجزائرية :

يعد الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل التعليمية الأساسية في المدرسة الجزائرية، وهو عنصرا مهما لا بد من حضوره في العملية التعليمية التعلمية؛ لأنه يعد جزءا لا يتجزأ منها. فالكتاب المدرسي من أكثر الوسائل التعليمية فاعلية وكفاءة في مساعدة كل من المعلم والمتعلم في عملية التعليم والتعلم، فهو بالنسبة للمعلم خير معين لأداء مهمته المكلف بها داخل المدرسة، ويمثل بالنسبة للمتعلم المصدر الأساسي الذي يستقي منه المعارف والخبرات والمهارات...؛ وهذا ما يفسر حرص أفراد الأسرة التربوية على اقتنائه وتوفيره واهتمام الدولة الجزائرية بتوفير جميع الإمكانات المادية والبشرية المؤهلة لتأليف الكتب المدرسية وإخراجها ومراجعتها وتوزيعها؛ نظرا لما لها من دور كبير في نجاح المدرسة الجزائرية في تحقيق أهدافها التعليمية والتربوية.

ونظرا للدور التربوي والتنقيفي البالغ الأهمية الذي يقوم به الكتاب المدرسي، قامت وزارة التربية الوطنية مؤخرا بإدخال عدة إصلاحات وتعديلات جذرية عليه؛ حيث تمثل آخر إصلاح مس الكتاب المدرسي مؤخرا في تحويله من الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني الذي يشبه الكتاب المطبوع لكن يتم عرضه وقراءته عبر الحاسب أو أي جهاز محمول، والذي كانت الغاية منه تطوير نظام التعليم وجعله أكثر كفاءة وفاعلية وانفتاحا على عالم المعرفة والتكنولوجيا الحديثة.

ومن بين الأسباب والعوامل التي دفعت وزارة التربية الوطنية إلى تحويل الكتاب من شكله الورقي إلى شكله الإلكتروني خاصة بالمدارس الابتدائية الريفية التخفيف من معاناة التلاميذ من ثقل وزن المحفظة المدرسية التي أصبحت تؤرق كاهل كل من الدولة والمجتمع الجزائري؛ حيث فكرت الوزارة الوصية في عدة حلول للقضاء على هذا المشكل التربوي منها جعل الكتب فصلية أو وضعها في خزانة القسم أو الاستعانة بالنسخة الثانية أو بالكتاب الإلكتروني... الذي يعد الإجراء الذي اختارته مؤخرا. وهذا ما صرح به معظم الباحثين بقولهم: "أن

تعويض الكتاب الإلكتروني بالكتاب الورقي في المدرسة الجزائرية يرجع إلى محاولة الوزارة الوصية التخفيف من ثقل وزن المحفظة المدرسية على التلاميذ حفاظا على سلامتهم الصحية وتلبية لمطالب الأولياء والمعلمين"، فتقل وزن المحفظة المدرسية نتيجة تعدد الكتب وثقل حجمها أصبح يعتبر الإشكال الوحيد الذي يشغل كل فئات المجتمع الجزائري وأصبح يشتكي منه التلاميذ والأولياء وحتى الطاقم التربوي برمته. فلقد كان لهذه المحفظة انعكاسات كبيرة على التلميذ من بينها ظهور العديد من الأمراض والتشوهات العظامية لدى التلاميذ من جهة. وهذا ما أكدته دراسة ألمانية بقولها: "أن 19% من الأطفال دون السادسة يصابون بتقوس الظهر، بينما يصاب 33% من التلاميذ المدارس من سن 12 إلى 14 سنة بهذا التقوس، و60% من الأطفال يمرون بمعاناة آلام الظهر حتى بلوغ الثامنة عشرة." (نيمور عبد القادر، 2019/2018: 211). ومن جهة أخرى ساهمت في شعور التلاميذ بالعديد من الضغوطات النفسية الذي جعلته يكره التوجه إلى المدرسة ويفكر في التسرب المدرسي. وهذا ما أكدته الدراسات النفسية بقولها: "أن الإجهاد الجسدي الزائد للتلميذ يتسبب في تعب نفسي قد يكون مؤقتا ولكنه يرتبط ارتباطا مباشرا بمؤسسته التربوية ويجعله يكره التوجه إلى المدرسة بمجرد أن يفكر بالحمل الثقيل الذي ينتظره زيادة على كثافة البرنامج الدراسي؛ مما يجعل تفكيره الباطن مركزا على السلبيات والصعوبات التي يواجهها جسمه وفكره يوميا فيصل إلى مرحلة الإرهاق الجسدي والفكري وبالتالي إيجاد صعوبة في الفهم والاستيعاب؛ وذلك ما ينعكس سلبا على نتائج الامتحانات ويجب الإسراع بحل مشكل الثقل لتجنب المزيد من الكوارث مستقبلا." (نيمور عبد القادر، 2019/2018: 211)

وبما أن العالم ككل أصبح يعتمد على الوسائل التكنولوجية الحديثة في شتى مجالات الحياة؛ نظرا لأهميتها الكبيرة في تنمية المجتمعات وجعلها مواكبة لمتطلبات العصر وتغييراته، قامت الجزائر مؤخرا بإدراج

مختلف الوسائل التكنولوجية الحديثة في عملية التعليم والتعلم بالمؤسسات التعليمية كالاتماد على الكتاب الإلكتروني مثلا كونها تساهم في تطوير العملية التعليمية التعلمية من جهة، وتحسن المهارات المعرفية واللغوية والأكاديمية والكتابية... لدى التلاميذ من جهة أخرى. وهذا ما أكدته معظم المبحوثين بقولهم: "أن من بين الأسباب التي جعلت الجزائر تفكر في رقمنة التعليم بصفة عامة هو الثورة الرقمية التي يشهدها العالم حاليا في مختلف الميادين خاصة في المجال التعليمي؛ لأن التعليم القائم على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يساهم في تحسين المردود التربوي لدى المدرسة الجزائرية، ويجعل عملية التعليم والتعلم أكثر متعة ومرونة؛ وهذا ما يفسر توجه العالم ككل نحو رقمنة الكتب المدرسية."

وتعتبر مشكلة التكاليف الباهضة التي تتطلبها طباعة الكتب المدرسية الورقية وكذلك مشكلة الفوارق المادية الموجودة بين الأسر الجزائرية التي تعيقها في توفير الكتب المدرسية لدى أبنائها من بين الأسباب التي دفعت بالوزارة الوصية أيضا إلى الاعتماد على الكتاب الإلكتروني بدلا من الكتاب الورقي كحل نهائي لتخفيف العبء عن كل من الدولة والأولياء. وهذا ما أكدته معظم المبحوثين بقولهم: "أن ضعف المستوى الاقتصادي لدى العديد من العائلات الجزائرية الذي يمنعهم من توفير الكتب المدرسية لدى أبنائهم وعدم قدرة الدولة على توفير الكتب المجانية لدى جميع التلاميذ المحتاجين وغير المحتاجين من بين الأسباب التي جعلت الدولة تفكر في التخلي عن الكتاب الورقي وتعويضه بالكتاب الإلكتروني الذي يحمل العديد من المزايا مقارنة بنظيره الورقي."

ولهذه الأسباب قامت الوزارة الوصية على قطاع التربية والتعليم بالجزائر بالاعتماد على الكتاب الإلكتروني كبديل للكتاب الورقي بالمدرسة الابتدائية من أجل بناء مدرسة جزائرية عصرية عالية الأداء قادرة على مواكبة متطلبات الحداثة ومتغيرات العالم في شتى الميادين؛ خصوصا وأن العالم اليوم أصبح يتجه نحو رقمنة كل القطاعات وخاصة

قطاع التعليم؛ ولهذا عازمت الجزائر أن لا تبقى على هامش هذه التطورات التكنولوجية الحديثة؛ بل قررت مواكبة هذه التطورات وذلك من خلال التوجه إلى تحويل الكتب المدرسية الورقية إلى كتب رقمية تسعى إلى تحقيق الحاجيات المختلفة للمتعلم من أجل إرضاء فضوله المعرفي من جهة وتجنبا لنفوره من الكتب المدرسية من جهة أخرى خاصة أن جيل اليوم صار يتجه بكثرة نحو استعمال الأساليب التكنولوجية الحديثة التي تعتمد على المرئي أكثر من المكتوب في كل المجالات؛ وذلك بسبب ارتباطهم أكثر بالصورة وبالجاذبية التي توفرها لهم حتى أصبح يطلق عليهم بالجيل الإلكتروني.

الكتاب الإلكتروني والعملية التعليمية في المدرسة الجزائرية:

عرف العالم في السنوات الأخيرة تطورات ملحوظة ومتسارعة مست مختلف المجالات، والكتاب كغيره من المجالات تأثر بهذه التطورات بظهور منافس جديد له ألا وهو الكتاب الإلكتروني الذي يعد "رؤية جديدة للكتاب الورقي في صور إلكترونية مع إضافة عناصر الوسائط المتعددة والنصوص الفائقة والبحث، وهو بهذا يجمع بين سمات الكتاب الورقي المطبوع وسمات الوسائط المتعددة مع دمج سمات النص الفائق، بالإضافة إلى إمكانيات أخرى للبحث والتعامل مع المعلومات." (زليخة ياحي وآخرون، 2023: 288).

ولقد ظهر الكتاب الإلكتروني في الجزائر نتيجة للثورة المعلوماتية والتكنولوجية الحديثة التي شهدتها العالم مؤخرا من جهة ومن أجل عصرنة المدرسة الجزائرية والقضاء على المشاكل البيداغوجية العديدة التي أصبح يعاني منها التلميذ وأسرته وحتى مؤسساته التربوية كظهور أزمة الكتب المدرسية الكثيرة وثقل حجمها وكثافة برنامجها الذي ساهم بدوره في ثقل وزن المحفظة المدرسية على التلاميذ والتي أثرت على الجانب النفسي والصحي لهم من جهة أخرى.

وبما أن الكتاب الورقي له أهمية كبيرة في المجتمع الجزائري؛ غير أن الكتاب الإلكتروني أحدث تحولات كبيرة كونه يتمتع بالعديد من المزايا التي ينفرد بها؛ فلقد أصبح هذا الأخير الأكثر طلبا وتداولاً من قبل جل

أفراد المجتمع الجزائري بدون استثناء؛ وذلك نظرا للمزايا العديدة التي يقدمها لهم من أجل إشباع حاجاتهم المعرفية، فالقدرة على تحميله واسترجاعه والاحتفاظ به وسهولة نقله والحصول عليه بأسرع وقت وبأقل جهد ممكن جعل أفراد المجتمع الجزائري يستغنون عن الكتاب الورقي ويعتمدون بدرجة كبيرة على الكتاب الإلكتروني من أجل توسيع آفاقهم الفكرية والثقافية وإنجاز بحوثهم العلمية...

وبالرغم من محاسن الكتاب الإلكتروني نلاحظ أنه مازال يعاني من بعض النقائص والثغرات والاختلالات التي تجعله يفقد مكانته ودوره داخل المدرسة، كما تجعله عاجزا عن مواكبة ركب الحضارة والتطور وعن رفع التحدي أمام الكم الهائل من الإصلاحات التي يشهدها العالم ككل حاليا. فالانعكاسات المترتبة عن إدراج الكتاب الإلكتروني بالمدرسة الريفية الجزائرية تتمثل في عرقلة السير الحسن للعملية التعليمية التعلمية والتي أثرت بدورها على أداء المعلم وعلى درجة استيعاب المتعلم. وهذا ما أكدته تصريحات المبحوثين بقولهم: "أن الكتاب الإلكتروني الموجود بالألواح الإلكترونية يؤثر على السير الحسن للعملية التربوية؛ نظرا لعدم تحكم التلميذ في هذه الوسيلة الإلكترونية؛ مما نجد أنفسنا استغرقنا الكثير من الوقت في تشغيله وتوقيفه لهم ومراقبتهم لمعرفة مدى تمكنهم من العمل عليه وفي الكثير من الأحيان نتوقف عن مواصلة الدروس بسبب تعطله أو توقف بطاريته لعدم قدرتها على التحمل كون الوقت المخصص لكل الحصص يستغرق 45 دقيقة، بالإضافة إلى ذلك هناك اختلاف كبير بين الكتاب

الورقي والإلكتروني في أرقام الصفحات... وغير ذلك من الانعكاسات التي أثرت سلبا على عملية التعليم والتعلم سواء بالنسبة للمعلم أو المتعلم."، يضاف إلى ذلك أن الكتب الإلكترونية تسبب الإجهاد البصري لدى التلاميذ وتشتت انتباههم كثيرا؛ رغم سرعتها التي توفر لهم الجهد والوقت من خلال اعتماد الألواح الإلكترونية عكس الكتاب الورقي، فهو غير متعب للبصر ويريح التلاميذ. وهذا ما أكدته تصريحات المبحوثين بقولهم: "أن الكتب الإلكترونية الموجودة بين

أيدي تلاميذنا أصبحت تشتت انتباههم حيث يعتقدون أنها وسيلة للعب وليس للتعلم، كما أنها تسبب إجهاد بصري كبير لهم خاصة لدى التلاميذ الذين يعانون من ضعف في البصر."، كما أن هذه الكتب الإلكترونية يصعب الكتابة عليها من قبل التلميذ عكس الكتب الورقية التي يقوم فيها بالكتابة والرسم والتلوين... وفي هذا الصدد صرح بعض المبحوثين بقولهم: "هناك العديد من الأنشطة الدراسية تتطلب من التلميذ الإجابة عليها في الكتاب بدلا من الدفتر؛ وما يعاب على هذه الكتب الإلكترونية أنه لا يستطيع الكتابة عليها؛ مما يستدعي منا الأمر إلى إنجازها شفهيًا أو إعادة كتابتها على الدفتر وهذا يستغرق منا وقت كبير."

وكما هو معروف أن الدولة الجزائرية تسعى إلى تعميم الكتاب الإلكتروني في جل مدارسها الابتدائية؛ إلا أنها لا تستطيع ذلك بسبب العديد من العقبات التي تواجهها والتي من بينها نذكر حسب تصريحات المبحوثين مقاومة ورفض أفراد الأسرة التربوية خاصة أعضاء هيئة التدريس لاستعمال الوسائل التعليمية التكنولوجية الحديثة والتمسك بالوسائل التعليمية التقليدية لأن هناك من لا يجيد استعمال هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة. وصعوبة توفير الألواح الإلكترونية بجميع المدارس وعدم القدرة على تغطية الانترنت بسبب ضعف تدفقها. كما أن هناك العديد من التلاميذ من لا يحسنون استعمال هذه الألواح الإلكترونية نظرا لعدم توفرها في أسرهم أو جهلهم بها بسبب ضعف المستوى الاقتصادي وحتى التعليمي لدى أوليائهم دون أن ننسى البيئة الاجتماعية النائية التي يعيشون فيها.

فهذه الإصلاحات الأخيرة التي عرفها الكتاب المدرسي جاءت بسبب الانطباع العام التي تتركه العديد من التصريحات كمحاولة لإصلاح ما أخفقت في تحقيقه المدرسة الجزائرية سابقا، فهل حظيت المدرسة الجزائرية بالدراسة المعمقة والتقييم الموضوعي لتجربتها تمهيدا لهذه الإصلاحات؟ أي تعويض الكتاب الإلكتروني بالكتاب الورقي. فهذه الأخيرة نجدها بعيدة نوعا ما عن الواقع المحلي واهتماماته وإمكانياته

المادية وحتى البشرية؛ وهذا ما يسبب ظهور تناقض كبير بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون؛ لذا ينبغي على القائمين على قطاع التربية والتعليم الاهتمام الفعلي بالمدرسة ومكوناتها حتى تتمكن من ملائمة الظروف السائدة في كل من المجتمع الجزائري والعالم ككل.

فما يلاحظ في هذه الإصلاحات الجديدة المتعلقة بالكتاب المدرسي أنها جاءت نتيجة لقرارات ارتجالية أكثر مما هي نتيجة للبحث والدراسة الموضوعية. فهذا المشروع الأخير الذي خرجت به الجهات الوصية لإصلاح الكتاب المدرسي لم يعالج المشكلات الحقيقية التي يعانيها المتعلم والمعلم؛ لأن اهتماماته انصبحت على تغيير شكل الكتاب فقط بدلا من مضمونه، فالمشكل التربوي الذي تعاني منه الأسرة التربوية هو كثافة المناهج الدراسية وليس ثقل وزن المحافظ المدرسية؛ لذلك ينبغي إعادة النظر في هذه المناهج المبرمجة لتلاميذ التعليم الابتدائي مؤخرا بدلا من تحويل الكتاب المدرسي من شكله الورقي إلى الرقمي الذي له عدة تأثيرات على المتعلمين فهو سيبعدهم تدريجيا عن فعل القراءة والمطالعة في حال إزالة الكتاب الورقي نهائيا ويقودهم أيضا إلى الاستسلام كلياً للتكنولوجيا خصوصا وأنهم في سن صغير جدا لا يسمح لهم بالتعامل مع عالم التكنولوجيا بدرجة كبيرة.

وعليه يمكننا القول بأن فكرة إدراج الوسائل التكنولوجية الحديثة باختلاف أنواعها بالمدارس الابتدائية الريفية على وجه الخصوص تحمل في طياتها العديد من المعاني ولا تتوقف عند مجرد التخفيف من ثقل وزن المحفظة المدرسية، فالدولة الجزائرية تسعى إلى النهوض بالمجتمع الريفي من خلال تدعيمه بمشاريع تنموية مختلفة كفتح آفاق التعليم والتكوين التكنولوجي الحديث بعدما كان يعتمد على وسائل تعليمية بسيطة ودعم التواصل الريفي الحضري الذي سمح للعناصر الثقافية الخارجية أن تنتشر وتتعايش مع عناصر الثقافة التقليدية، بالإضافة إلى إدخال وسائل الإعلام والاتصال التي ساهمت في نشر الوعي والأفكار الجديدة. فهذه التحولات فتحت أبوابا لتغيير الذهنيات وتجديد الاتجاهات ورفع مستوى الطموح والتطلعات لدى أفراد المجتمع

الرفيقي التي هيأتهم للانفتاح الثقافي على العالم الخارجي وجعلتهم أكثر
تقبلا للتغيير في جميع الميادين.

الخاتمة:

إن فكرة إصلاح الكتاب المدرسي في الجزائر وتحويله من الشكل
الورقي إلى الشكل الإلكتروني تعتبر فكرة مشروعة وسامية، والدافع
إليها لا يكون ساميا إلا إذا كانت الغاية المرجوة من إصلاحه هي
الارتقاء بالنظام التعليمي وتحسين ظروفه وتطويره تبعا لتطورات
العصر وتغييراته السريعة من جهة، وحتى لا يبقى منفصلا عن بيئته
الداخلية أو الخارجية من جهة أخرى. ولهذا ينبغي أن يظل الكتاب
المدرسي خاضعا للإصلاح الدائم والهادف؛ وإلا سيصبح كتابا مغلقا
على نفسه بعيدا عن اهتمامات وحاجات ومطالب المجتمع الجزائري
ومن ثم يتحول إلى كتاب جامد يخرج المتعلم من التشويق إلى التشويش،
وبالتالي لا يحقق العائد الذي ينتظره منه وهو تنمية الكفاءات البشرية
القادرة على بناء الوطن.

وقد خلصت هذه الدراسة الميدانية التي تم إجراؤها في إطار البحث عن
أسباب وانعكاسات تحويل الكتاب المدرسي من شكله المطبوع إلى شكله
الرقمي إلى أن الكتب المدرسية الإلكترونية التي تبنتها الجزائر مؤخرا
تعد وسيلة جيدة وأكثر فاعلية في عملية التعليم والتعلم؛ نظرا لسهولة
قراءتها وتصفحها والاحتفاظ بها؛ لأنها لا تأخذ مساحة كبيرة بعد
الانتهاء من استعمالها. كما أنها توفر الكثير من الجهد والوقت للأسرة
التربوية عامة، مع إمكانية حمل عدد كبير من الكتب الإلكترونية في
جهاز واحد وعدم تعرضها للتلف أو الضياع. بالإضافة إلى أنها تلبي
حاجة القراءة بطريقة جديدة؛ بحيث يمكن دمج الوسائط المتعددة السمعية
والبصرية والصور الثابتة والمتحركة ولقطات الفيديو في القراءة؛
ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة أو الوسيلة الأفضل لنقل الرسالة التربوية
التي كلفت بها المدرسة؛ لذا ينبغي معرفة متى وكيف وأين يتم
استخدامها؟ بمعنى آخر ما هي الفئة العمرية من التلاميذ الذين يحتاجون

إلى التعليم الإلكتروني، هل تلاميذ الطور الابتدائي أو تلاميذ الأطوار الأخرى كالمتوسط والثانوي؟ ثم ينبغي عدم إعطائها أكثر من حجمها والتعرف على انعكاساتها الحقيقية على المتعلمين والمعلمين من جهة وعلى العملية التعليمية التعلمية من جهة أخرى؛ حيث توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن الكتاب الإلكتروني الموجود بالألواح الإلكترونية التي وفرتها الدولة الجزائرية لقراءة هذه الكتب يؤثر بدرجة كبيرة على السير الحسن للعملية التعليمية التعلمية؛ نظرا لتحوله من وسيلة تعليمية إلى وسيلة ترفيهية عند العديد من التلاميذ وعدم تحكم بعض المتعلمين والمعلمين فيه وصعوبة توفيره في كل المدارس الابتدائية وارتفاع تكاليف صيانتها...، ويبقى السؤال المطروح دائما هو ما مصير الكتاب الورقي في ظل سيطرة الكتاب الرقمي؟ وما مدى فاعلية الكتاب الرقمي في تحسين العملية التربوية؟ وهنا نفتح المزيد من الدراسات حول الكتاب المدرسي الذي أصبح يشكل موضوعا على الساحة الوطنية والعالمية مؤخرا خاصة في ظل الحديث عن ثقل المحفظة وكثافة المناهج المدرسية ورقمنة التعليم.

المراجع:

- أحمد اسماعيل، (2000). إدارة بيئة التعليم والتعلم: الفصل والمدرسة، ط1. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الصديق عبد الصادق البدوي بلة، (2022). "اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو استخدام الكتاب الإلكتروني: دراسة ميدانية من وجهة نظر طلاب الدراسات العليا بجامعة البطانة، السودان 2021". مجلة أفاق للعلوم، جامعة السودان، المجلد 07 والعدد 04، ص.ص. (160-175).
- زليخة يحيى وآخرون، (2023). "رحلة القراءة من الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني، وتحولات التجربة الإبداعية التفاعلية من وجهة نظر الطلبة الجامعيين". مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف الجزائر، المجلد 15 والعدد 02، ص.ص. (283-295).
- صلاح الدين شروخ، (2004). علم اجتماع التربوي، د.ط. عنابة: دار العلوم.

- عصام توفيق أحمد ملحم، (2011). مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الجامعية، ط1. الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية.
- نيمور عبد القادر، (2019/2018). إنتاج وتوزيع الكتاب المدرسي في الجزائر: دراسة بيبليومترية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم منشورة في علم المكتبات والعلوم الوثائقية. جامعة وهران، الجزائر.
- يوسف قطامي وآخرون، (2008). تصميم التدريس. ط3. عمان: دار الفكر.